مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١١:٣٣–٤٠؛ ١٢:١–٢)

يا إخوةُ إنَّ القديسينَ أجمعين بالإيمانِ قهروا الممالكَ وعملوا البرَّ ونالوا المواعدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حدَّةَ النارِ ونجَوا من حدِّ السيفِ وتقوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسروا مُعسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ آخرون بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحصُلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون ذاقوا الهُزْءَ والجَلْدَ والقيودَ أيضاً والسجنَ* ورُجِموا ونُشروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غَنَمٍ ومَعَزٍ وهم مُعْوَزون مُضايَقون مجهودون* ولم يكنِ العالمُ مستحقاً لهم. فكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِدَ* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضلَ أن لا يكملوا بدوننا* فنحن أيضاً إذ يُحدِقُ بنا مثلُ هذه السحابة من الشهود فلْنُلْقِ عنَّا كلَّ ثِقلٍ والخطيئةَ المحيطةَ بسهولةٍ بنا.

أحد جميع القديسين

«لكنَّكم ستنالونَ قوَّةً متى حلَّ الروحُ القدسُ عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليمَ وفي كل اليهوديةِ والسامرةِ وإلى أقصى الأرض» (أعمال ١: ٨).

في هذا الأحد الذي يلي عيد العنصرة، عيد حلول الروح القدس على التلاميذ وعيد تأسيس الكنيسة على الأرض، تُعيِّد الكنيسة المقدَّسة لكل من نال نعمة الروح القدس واستجاب لدعوة الرب أن يكون شاهداً له «في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض». تُعيِّد الكنيسة لثمرة عمل الروح القدس في الكنيسة، لجميع القديسين المعروفين وغير المعروفين، الذين أُدرجت أسماؤهم على لائحة التذكارات أو لم تُدرج، والذين يعرفهم الله وحده.

انطلاقة هذا العيد كانت من إنطاكية في القرن الرابع. كان يُقام تذكار لكل الذين استشهدوا من أجل كلمة الرب. ومن هناك انتشر العيد إلى كافة أنحاء العالم.

القديسون هم الشهود الأمناء للرب يسوع في هذا العالم. أن تكون شاهداً للرب يعني أن تعترف به قدام الناس، ومن يعترف به يُعتبر من أبناء الملكوت، وهذه هي القداسة: «كل من يعترف بي قدَّام الناسِ أعترفُ أنا أيضاً به قدَّام أبي الذي في السموات، ولكن من ينكرني قدَّام الناس أنكرهُ أنا أيضاً قدَّام أبي الذي في السموات» (متى ١٠: ٣٢ و٣٣). القديسون هم الذين شهدوا لربهم في حياتهم وفي موتهم، في أقوالهم وأفعالهم وأفكارهم. هم الذين أمضوا حياتهم حاملين صليب المسيح بوحي الروح القدس ومعونته. وهم الذين وضعوا محبة يسوع قبل محبة أقرب المقربين إليهم، ولم يخونوا المحبة التي أحبهم إيَّاها يسوع على الصليب.

العدد ٢٠٠٤/٢٣
الأحد ٦ حزيران
أحد جميع القديسين
تذكار أبينا البار إيلاريون الجديد
رئيس دير الدلماتُن
اللحن الثامن
إنجيل السَحَر الأول

الشهادة ليسوع لا تعني بالضرورة أن تخرج إلى الشارع وتبشِّر من منزل إلى منزل بيسوع. هذا الأمر يتطلَّب موهبة خاصة. إنما كلنا نستطيع الشهادة للرب عندما نحيا وصاياه التي علَّمنا إياه ونعمل بها. لذلك كل واحد منا يعترف بربه على طريقته، وعلى هذا الأساس فإن عدد الشهود لا يُحصى، والرسول بولس في رسالة اليوم يتحدث عن «سحابة من الشهود» (عبرانيين ١٢:١) تحيط بنا.

يُتوِّج عيد جميع القديسين الدورة

ولنسابقْ بالصبر في الجهاد الذي أمامنا* ناظِرين إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمِّلِهِ يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠ : ٣٢-٣٧؛ ١٩:٢٧-٣٠)

قال الربُّ لتلاميذِهِ كلُّ مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا به قدَّامَ أبي الذي في السموات* ومَنْ ينكرُني قدَّامَ الناس أنكره أنا قدَّامَ أبي الذي في السموات* مَن أحبَّ أباً أو أماً أكثرَ مني فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابناً أو بنتاً أكثرَ مني فلا يستحقُّني* ومَن لا يأخذُ صليبَه ويتبعني فلا يستحقُّني* فأجابَ بطرسُ وقال لهُ هوذا نحنُ قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكونُ لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم أنتم الذين تبعتموني في جيل التجديد متى جلسَ ابنُ البشرِ على كرسيِّ مجدِهِ تجلِسون أنتم أيضاً على اثنَيْ عَشَرَ كرسيًّا تَدينونَ أسباط إسرائيلَ الإثني عَشَرَ* وكلُّ مَن تركَ بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أمًّا أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجلِ اسمي يأخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ ويرثُ الحياةَ الأبديةَ* وكثيرونَ أوَّلون يكونون آخِرين وآخِرون يكونون أوَّلين.

تأمل

حقاً إن الله عجيب في أعمال قدّيسيه. عندما يفكر الواحد بجهادات الشهداء الليتورجية التي عشناها في الكنيسة منذ ثمانية عشر أسبوعاً بدأناها مع أحد الفريسي والعشار وآحاد التهيئة للصوم وتابعناها مع آحاد الصوم الكبير والأسبوع العظيم ثم الفصح والفترة التابعة له التي توّجتها العنصرة. الذين يكرِّسون أنفسهم لله بصبر واتضاع، ويثقون بمحبته وغفرانه وقدرته على الشفاء الروحي والجسدي، ويطعمون الجائع ويسقون العطشان ويزورون المريض والمسجون ويغفرون بعضهم لبعض، ويصومون ويحملون صليب الرب على أكتافهم، هؤلاء جميعهم الذين تعمّدوا على اسم الثالوث يشاركون في آلام المسيح وموته وقيامته ويحيون معه في حياة جديدة بالروح القدس، أي يصيرون قديسين. الروح القدس يحيا ويعمل فيهم ليجعلهم على صورة المسيح ومثاله، ليحوِّل فيهم الصورة البشريَّة الساقطة إلى الصورة الكاملة المتألهة. بكلام آخر يصيرون ما يدعوهم الإنجيل إليه: «لأنَّه مكتوبٌ كونوا قديسينَ لأنّي أنا قدُّوسٌ» (١بطرس ١:١٦). يصيرون رجالاً ونساءً قديسين وقديسات يعكسون محبة الله في حياتهم التي صيَّروها على صورة المسيح الذي أعطى ذاته على الصليب.

في أحد جميع القديسين يكتمل إعلان الله عن نفسه كثالوث. نحن لا نستطيع إدراك جوهر الله ومعرفته. فهو غير المنظور وغير المدرك والذي لا تحده العقول، وهو يتجاوز كل وصف وتخيّل بشريين. لكن الله أعلن عن نفسه لنا من خلال ابنه الوحيد الكلمة الإله الصائر إنساناً، يسوع المسيح: «ليسَ أحدٌ يعرفُ الإبنَ إلاَّ الآبُ، ولا أحدٌ يعرفُ الآبَ إلاَّ الإبنُ ومَنْ أرادَ الإبنُ أن يُعلنَ لهُ» (متى ١١:٢٧). الإبن يعرّفنا بالآب، ووحده إلهام الروح القدس يجعلنا نعرف يسوع على حقيقته: «ليسَ أحدٌ يقدِرُ أن يقولَ يسوعُ ربٌّ إلاّ بالروحِ القدس» (١كورنثوس ١٢:٣). الروح القدس يعرّفنا بالإبن. لكن من يعرّفنا بالروح القدس؟

اللاهوت الأرثوذكسي يجيب عن هذا السؤال بالقول: نتعرف على الروح القدس من خلال حياة القديسين، إذ إن جميع أعمالهم وتصرّفاتهم هي ثمرة الروح القدس العامل فيهم. «أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف» (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣). القديسون هم دليل أو إثبات عمل الروح القدس في الكنيسة. طبعاً هذا الكلام يعني أن القديسين يشهدون للثالوث ويعلنونه من خلال إعلانهم الروح القدس.

يقول القديس سيرافيم ساروفسكي «ان هدف الحياة المسيحية هو اقتناء الروح القدس»: الروح الذي يكشف لنا المسيح، الذي بدوره يعرِّفنا بالآب. فلنسعَ أن نكتسب الروح في حياتنا، أو بالأحرى لنسعَ أن نحافظ على نعمة الروح القدس التي نلناها يوم معموديتنا ليكتب الله أسماءنا في سِفر الحياة ونرث الحياة الأبدية.

القديس كيرلس الإسكندري

يرتبط اسم القديس كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية، الذي تعيّد له الكنيسة المقدّسة في التاسع من شهر حزيران، بالمجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس (٤٣١) والذي تناول تعاليم نسطوريوس، رئيس أساقفة القسطنطينية، المنحرفة وحكم عليها.

لا نعرف الكثير عن حياة كيرلس قبل ارتقائه العرش الأسقفي في الإسكندرية العام ٤١٢. لا يُستبعد أن يكون كيرلس قد قضى ردحاً من

التي تفوق قدرة البشر، كيف انهم بجسدهم الضعيف أخزوا القويّ الشرير، كيف لم يشعروا بالآلام والجراح عندما كان يُرمى جسدهم في النار أو يُضرب بالسيف إلى جانب كل أنواع التعذيبات المميتة وهم يقاومون بالصبر؛ عندما يفكّر الواحد كيف قُطّعت أجسادهم ومُزّقت ركبهم وكُسرت عظامهم ومع ذلك حافظوا على إيمانهم غيرَ متزعزع صحيحاً كاملاً، ولذلك تقبّلوا موهبة حكمة الروح القدس وقوّةَ صنع العجائب؛ عندما نفتكر بصبر الأبرار، كيف تحمّلوا بإرادتهم، وكأنهم غيرُ متجسّمين، الأصوام الطويلة والأسهار وجهادات الجسد المختلفة، كيف واجهوا حتى النهاية الأهواء الشريرة وأنواع الخطايا المختلفة وكذلك الحرب التي تشتعل فينا بصورة غير منظورة والرؤساء والسلطات وقوى الشر الروحية، كيف كان إنسانهم الخارجي يذوب ويمّحي بينما الإنسان الداخلي يتجدّد ويتألّه، ولذلك أُعطوا نعمة الشفاء وإنجاز أعمال قدرة؛ عندما يفتكر الواحد بكل ذلك، ويرى ان كل ذلك يتخطى الطبيعة الإنسانية، يتعجب ويمجّد الله الذي أعطاهم مثل هذه النعمة والقوّة. فإنه حتى ولو كانت عندهم الإرادة الحسنة والصالحة إلاّ أنهم ما كانوا ليحصلوا بدون قوّة الله على قدرةٍ تفوق البشر وعلى غلبةٍ

حياته راهباً. غير أنّ الأكيد أنّ مسيرته الكهنوتيّة اتّصلت اتصالاً وثيقاً بخاله البطريرك الإسكندري ثيوفيلس (٣٨٥-٤١٢) الذي اصطحبه معه إلى مجمع السنديانة الشهير (٤٠٣).

يسجّل المؤرّخون ما كان عليه القديس كيرلس من حزم، قد يصل أحياناً إلى شيء من القسوة، في التعامل مع الوثنيين والهراطقة في كنيسة الإسكندرية. بيد أنّ القديس كيرلس كان أيضاً لاهوتياً لامعاً وكاتباً غزير الإنتاج حتى قبل انعقاد المجمع المسكوني الثالث. فهو انصرف في مرحلة ما قبل المجمع إلى دحض الآريوسية، التي كانت بعد منتشرة هنا وهناك، مستنجداً بالأسس التي كان وضعها قبله كلّ من سلفه القديس أثناسيوس الإسكندري وباسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي والتي ترسّبت في تعليم المجمع المسكوني الثاني (٣٨١). فضلاً عن ذلك، وضع القديس كيرلس في الحقبة التي سبقت مجمع أفسس تفسيراً في إنجيل يوحنا وتفسيرين في كتب الشريعة الخمس وتفسيراً في كتب الأنبياء الصغار. ويشرح كيرلس العهد القديم معتبراً أنّه يصل إلى ملء معناه في يسوع المسيح مستخدماً الطريقة الرمزيّة المعروفة في الخط التفسيريّ الإسكندريّ والتي وضع أسسها العلاّمة أوريجنس والمعلّم ديدموس الأعمى. إلاّ أنّ كيرلس لا يتطرّف في التفسير الرمزي. فهو يحاول أيضاً تقصّي المعنى التاريخي الحرفي لنصوص العهد القديم قبل الإنصراف إلى التفكّر في المعنى المجازي الذي تحمله هذه النصوص بالاستناد إلى تحقّقها في يسوع.

لا شكّ في أنّ الجزء الأكبر من كتابات القديس كيرلس الإسكندري ورسائله تركّز على مشادّته مع نسطوريوس الذي أنكر على مريم العذراء لقب «والدة الإله» وما استتبعته هذه المشادّة من ضرورة أن يسارع كيرلس إلى توضيح موقفه اللاهوتي عبر التشديد على الوحدة بين الإلهي والإنساني في شخص يسوع. غير أنّ الانشغال بالجدل اللاهوتي لم يمنع القديس كيرلس من الاستمرار في الدفاع عن المسيحية في الأزمات. فنجده يدبّج بعد العام ٤٣٣ عملاً ضخماً ضد الإمبراطور الوثني يوليانوس المعروف بالجاحد يردّ فيه على كتاب دوّنه هذا الإمبراطور عنوانه «ضد الجليليين» يهاجم فيه المسيحيّة ويسخر من أتباعها.

استخدم القديس كيرلس للتعبير عن تعليمه في خصوص المسيح عبارة «طبيعة واحدة للإله الكلمة متجسّدة». والحقّ أنّ كيرلس اعتقد أنّ هذه العبارة تعود إلى القديس أثناسيوس الكبير، فيما نعرف اليوم أنها كانت مدسوسة على كتابات أثناسيوس. يضاف إلى ذلك أنّ هذه العبارة قد تبدو غريبةً على مسامعنا اليوم، ولا سيّما أنّ المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونية (٤٥١) قال بطبيعتين في المسيح، إلهية وإنسانية. ولكن لجوء كيرلس إلى هذه العبارة الملتبسة يُظهر أنّ الكلمات المستعملة ليست هي الأهم، بل ما تفصح عنه من مضمون والطريقة التي يتمّ بها شرحها. وقد اعتبر المعلّمون الكنسيّون اللاحقون مثل القديس مكسيموس المعترف والقديس يوحنا الدمشقي أنّ القديس كيرلس نجح في إعطاء هذه العبارة مضموناً مستقيماً رغم أنّها تتحدّث عن طبيعة واحدة. فهي تشير بوضوح إلى حقيقتين في يسوع، واحدة إلهية

العدوّ غير المتجسد وهم بشر عاديون.

لذلك قال النبي الشاعر في المزامير «عجيب هو الله في قدّيسيه»، وأضاف في الوقت نفسه: «هو يعطي قوّةً وصبراً لشعبه». افحصوا بحكمة قوة الأقوال النبوية. لكل شعبه يعطي الله قوّة ومقاومة. الله لا يحابي الوجوه لكنه عجيب فقط في قدّيسيه، كما أن الشمس في الأعالي تبسط أشعتها بغزارة للجميع لكن لا يشاهدها إلاّ الذين عندهم أعين غير مغلقة، فيبتهجون بلمعانها كونهم يرون جيداً بأعين صحيحة، وليست عيونهم تلمع فقط من جراء المرض أو الضباب أو حاجز آخر يقف أمامها. هكذا فإن الله يعطي بغزارة من العلى للجميع لأنه هو ينبوع التحنن والصلاح، ينبوع غير محدود، مخلّصٌ ومنير، ولكن الذين يستفيدون من الموهبة ومن القوة التي تشع من أجل النسك وكمال الفضيلة أو من أجل تحقيق العجائب، هؤلاء ليسوا كل الناس عامة بل فقط الذين عندهم إرادة طيبة وإيمان ومحبة نحو الله ظاهرة من خلال أعمالهم، وكذلك الذين يبتعدون عن الشر بصورة كاملة ويتمسكون بوصايا الله ويوجّهون أعينهم العقلية إلى المسيح شمس العدل...

القديس غريغوريوس بالاماس

وأخرى إنسانيّة، وذلك عبر التأكيد أنّ الكلمة بعد حلوله في أحشاء مريم لم يكن مجرّد إله، بل صارت «طبيعته» الإلهية طبيعةً متجسّدة.

علاوةعلى ذلك، تكمن أهميّة هذه العبارة التي لاذ بها القديس كيرلس في أنّها تشدّد على الوحدة في شخص يسوع بين الإلهي والإنساني. فنسطوريوس برفضه تسمية مريم «والدة الإله» والاستعاضة عن هذا اللقب بعبارة «والدة المسيح» كان يريد أن يحفظ للإلهي في يسوع عدم اختلاطه بالإنساني، وهو أمر سيشدّد عليه مجمع خلقيدونية في ما بعد. ولكنِ خطأ نسطوريوس يقوم في إغفاله أنّ الإلهي في المسيح متّحد اتّحاداً وثيقاً بالإنساني إلى درجة التداخل، بحيث أنّ جسد الكلمة كان يعبِّر عن صفات يسوع الإلهية عبر اجتراح الآيات وإقامة الموتى من دون أن يفقد خواصه الطبيعية كالجوع والعطش والتعب والموت. نسطوريوس، إذاً، رغم نواياه الحسنة كان يروّج لتعليم يحمل في ثناياه خطر الفصل بين الإله والإنسان في يسوع، مهدداً بذلك الأساس الذي تحقّق الخلاص بناءً عليه أي كون يسوع إلهاً وإنساناً معاً بلا انفصال ولا افتراق. هذا تنبّه له القديس كيرلّس جيداً وأدرك مزالقه فتصدى لتعليم نسطوريوس، ولو أتى تصدّيه هذا في المجمع الثالث على شيء من الحدّة، إذ عقد المجمع وترأسه وحكم على نسطوريوس قبل وصول الوفد الإنطاكي بأيّام معدودة.

كثيراً ما أخذ المؤرّخون على القديس كيرلس هذه الحدّة ونسبوا إليه رغبةً في تقوية شأن كنيسة الإسكندرية بعد اعتلائه عرش أسقفيّتها على حساب القسطنطينية التي كانت تغذّيها أنطاكية بالبطاركة مثل الذهبي الفم ونسطوريوس وغيرهما. لكنّ الأكيد أنّ كيرلس كان أيضاً لاهوتياً عميقاً وأنّه في العام ٤٣٣ لم يستنكف عن توقيع نصّ لاهوتي مشترك مع الأنطاكيين عندما أيقن هؤلاء أن مواطنهم نسطوريوس يغالي في موقفه. وقد عبّر هذا النص عن سرّ التجسّد بكلمات مستمدّة من مدرستي أنطاكية والإسكندرية معاً. والثابت أنّ خطوة كيرلّس هذه لم ترضِ المتطرّفين من أتباعه الذين رفضوا، في ما بعد، مجمع خلقيدونية. بيد أنّها تبيّن أنّ كيرلس، رغم حدّة طباعه، كان من المرونة اللاهوتية ما أتاح له، في ذلك الوقت، أن يجنّب الكنيسة خطر الانقسام الذي سيعود ليحيق بالكنيسة بعد موته، وذلك إثر رفض الأقباط وبعض السريان مجمع خلقيدونية.

صوم الرسل

يُعرف الأحد الذي يلي عيد العنصرة بأحد جميع القديسين، وفي اليوم الذي يليه يبدأ صوم الرسل الذي به نستعد لاستقبال عيد الرسولين بطرس وبولس في ٢٩ حزيران.

قد تطول أو تقصر مدة هذا الصوم لأنه مرتبط بعيد العنصرة وتاريخ بدئه ليس ثابتاً. هذا العام يبدأ صوم الرسل غداً في ٧ حزيران ويمتنع المؤمنون خلاله عن تناول اللحم والبيض والحليب ومشتقاته.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb